



الحسين القمري

# هديل الروح

شعر

تم تحميل هذا الكتاب من موقع اتحاد كتاب المغرب

[www.unecma.net](http://www.unecma.net)

هديل الروح  
شعر: الحسين القمري  
لوحة الغلاف من إنجاز الفنان  
بوشعيب الهبولي  
الإيداع القانوني: 1577-2000

طبع هذا الكتاب ضمن منشورات المكتب المركزي  
لاتحاد كتاب المغرب

---

التصنيف والإنجاز الفني

---

ناداكوم 037 68 25 50

---

السحب: مطبعة فيديرانت  
الهاتف: 03 720 61 24 - الرباط

## هديل الروح

---

شعر الحسين القمري

الحسين القمري

4

## 1. في مهب الغناء

الهواء إليك رسولي  
دعيه يحدثك عن جسد يتضور شوقا  
إليك  
ليفض عنه غبار السنين  
ويلهو  
على سمر بابلي  
يخبئ أسرارها  
في الصباح لينشرها في المساء  
المداد إليك  
طريقي  
وأولى المحطات  
مشرعة للفتاءات  
والشعر  
فالتقطي في الزحام  
يدي

ودعيني أجرب مغامرة الأنبياء  
الرحيل إليك سمائي  
فضمي إليك نجومي  
وأسطورتي  
وتخومي  
ولا تدعيني على طرف العمر  
أبني الحروف  
وأهديها في مهب الفناء

1993-11-4

## 2. هديل الروح

لأسماء الحمام نذرت أسمائي  
فأية حرقة أكلت فراشاتي  
وأية هوة سرقت سمائي  
فلم أخلع - غداة تنافر الأبدال - عن ألمي ردائي  
ولم أسمع هديل الروح حين وقفت في أقصى  
انمحائي  
أسأل كاهنات الصمت  
عما كنت أغزل من ربيعي أو  
شتائي  
وأتبع حوريات الطيف نحو مساقط الأضواء  
أسكن  
متزل الرؤيا  
وأمرح في بساتين اللقاء،



متى  
يا دوحة العشاق  
يدنو الفجر من بوحى وإيمائي  
وتخضر الحقول  
على تخوم الرمل والماء  
فإني ما فتحت الجرح إلا  
بين أحضان المساء  
وما اخترقت مغاور النسيان  
إلا حين أشرقت الكواكب في دمائي  
وإني ما اجتريحت غواية  
إلا وهذا الكون  
عافيتي ودائي.

### 3. في حضرة محيي الدين بن عربي

• على عتبات الولوج

على جبل من دخان

رأيته

يغزل ثوب الغيم

وبين يديه قناديل من ذهب

وأباريق يسكب منها الرؤى الشاردات

رأيته

ينشر أوراقه

ويغني

لحورية من بنات الضياء

اقتربت

فأوثقني من ثملات صبري

ومن ظمأى مزج الكأس ثم سقاني

طقوس الندى

وخمور عوالمه الغائبات

انسلت إلى دهشة اللون والكائنات  
وصوت على بابه:  
"نحلة في صقيع التناي"  
عراجينها ألسن في جميع الجهات  
انخدعت لأسطورتي برهة  
وتحللت من شبحي  
في إهابي عقيق  
ونخل يلفقه قلقي  
وانشطاري  
انتبهت  
على ضوء أيقونة  
تتدلى على سفح رؤيا  
مدنسة بخطايا الوصول  
اشتبهت ثمار حدائقه الفاتنات

فأوماً لي أن  
تجلد  
فإن الخطيئة  
بنت اليقين  
وبوصلة  
تسرق الوقت منك  
وأن حدائقنا سفن  
وفصول  
فكدت أحطم كأسي - أمزق أشرعتي  
ثم  
أعلن موت الرقاع  
لأهدم ما بيننا من عروش  
فجاوبني من صدهاه  
صدى

يتخثر بين الزوايا  
كما لو تشظى طريقي  
ووغادت كواكبه الخادعة  
ولكنه ضمني من ثمالات صحوي  
وأسكرني بعناقيد من جنة الفقد  
بين خدور المعاني  
وأخيلة حرة سافرات  
وأدخلني للمدى المتحفز للمحو والانكسار  
دعاني إلى إغفاءة في شرود الخيال  
وتغريبة في انصياح اللغات  
وأوثقني للمرايا  
فلم أر إلا  
اشتباهي  
ولم أر إلا مشاركته والتباسي

قلت :

يا سيدي عتبات الولوج تلوح لي انسياب المدى والمدار  
قدسي ظهورك لي  
قبل أن يطمس العمر وهم النهار

• كأنه قوس قزح

إليك

أفاض الفجر حيننا وسلمت عليك عيون للصباح تودع  
ولو شئت أحللت اللقاء محل ما تفرق من شمل فهل أنت  
تسمع، فلو سئل الديقاح أين مراحه لجاءك من فرط المحبة  
يهرع وتأيك أنوار من البشر فجأة فتمرح نشوى في  
مداك وتسطع، فهل يستريح العاشقون وكلهم يرونك  
وجها للحبيبة يسطع، فما هوى الألوان يجرح سيرتي  
ويزرع فيها حيرة تتفرع وما للفضاء الرحب يخفي دماء  
فتفلت منها قطرة تتضوع وتترك أسراب الطيور مهادها  
إليك.

مع الفجر الذي يتخلع  
• إشارات بين لا ونعم

كن

كما

لا

تريد

وانتظر قمرا ينشر القرب من طيلساني

ومن خطواتي أشعر قبسا للرحيل

وأزمة

للنشيد

قف وعاكس هبوب الرماد

ولا تلتفت للوراء

فإن الرؤى ساحرات

لجان  
إلى كمفهن البعيد البعيد  
كن كما لا تريد  
فإنك لن تتسلطن من غير  
موت  
وعمر جديد  
فما ألفت إلا نتحار الفيوم  
بأشواقها في الفضاء المديد  
قلت:  
كيف التحول منك إليك،  
وكيف هذا الفراغ العنيد



قال :  
كن  
طاهرا  
يتخلق من أرجوان التخلي  
وطين الحفاء  
ولا تتخذ أي رجم  
يصدك عني  
فإني مغارات هذا الفضاء

1994-09-05

## 4. عبد الله راجع

• ينساب عبد الله  
بين مباحج الدنيا وزينتها  
فيختار التوحد والربابا  
ويصير مطلعہ ربيعا  
مستجابا  
وتصير آيته نشيدا أو كتابا

• ينساب عبد الله  
بين الآس والمرجان  
لا يترك الكروم المثقلات  
بعريها حتى تبادلہ انسيابا  
ويطل عبد الله من أيامه  
فتزيده الرؤيا شبابا.

• ينساب عبد الله  
بين السيف والسياف  
يعتصر المدى  
ويفك عن غده الحجابا  
ينساب بين أزقة المدن  
العتيقة

• ينساب عبد الله  
بين خواطر الماء الندي  
فيمنح الشعر الطفولة  
والإهابا  
ويخط عبد الله في دفاتره  
فتمتلى اللغات به انقلابا.

شاهراً أحلامه  
متدثراً ببشائر الأحباب  
لا يشكو  
ولا يظأ الكواكب والسحابا

• ينساب عبد الله  
بين مسالك الغابات  
حرا كالينابيع البعيدة  
عاليا كالنسر

يحمل عن جراح الناس والوطن انتدابا  
• ورأيت عبد الله. كان يهندس الدنيا. ويصنع من  
خرائبها جوابا. كان يبحث في المعاني. عن معنى. ويبحث  
في الزمان عن المكان. وكان قبلة من يواسيهم. فغابا.

## 5. شهادة على قبر أحمد المجاطي

### • بوابة الروح

نبضات الحرف في كرمتنا

الشكلي تموت ونشيد الفجر أغضى

بين أيدي العنكبوت يرتدي

الشاعر آخر ثوب

• يخلع الدنيا ويمضي في

• طريق الملكوت من هنا

• مد سحاب دنيوي وبراق

• وحداء نبوي وخيول ضياء

• هنا تخضر أسرار الأنبياء

• أوراق العمر

تسعون قافية تمشط شعرها في البرزخ الوهمي بين الناس  
والمنفى وقلبك واقف بالباب يحلم بالسلام وبال دخول  
تسعون قافية تحف بركبها الأفلاك تحملها صبايا الجن نحو  
جزائر المرجان.

## والأحلام

تأسو جرحها الغافي  
 وتمسح عن ضفائرها  
 غبار الموت  
 تبرزها لأمسية بتول  
 عتبات ذكرى  
 نجمة تجري وراء خوالج الأكوان  
 موسيقى مؤلفة  
 من العشق البعيد  
 وناسك يروي  
 عناقيد الصباية والحلول هب  
 لا ريب أنك سابح  
 في وحشة الظلمات  
 فجر جائع لمنابت الأسرار  
 نبع دافق

أن أيام القيامة هاجس في رأس ساقية تموت  
ولا تبوح بمن تأخر عن مواعيد الوصول هب  
أن دالية الحروف سفينة غرقى  
وأن البحر والربان  
مختلفان في شكل الرسالة والرسوة هب  
لأن موعظة الذئاب معلقات في مهب الريح  
تفت في مسارها  
تجعيد المهانة والأفول هب  
أن قائمة الليالي  
لم تقم إلا لتحضر عرسها الأبدى  
ما بين التمتع والقبول هب  
إن موعدك الجميل  
إذا طلعت تيممة  
ضد احتقان الشعراء  
في أرض ذلول.

تسعون قافية وألف نجمية خضراء تسمر عند بابك  
تحتفي بمثابك الأبهى  
وتنسج صوتك الريان تيجانا ونايات وألوانا وتنشرها  
على صدر الفيافي والسهول • ما شئت من عتبي وما لم  
تستطع طاحونة الأيام حمله من تباريح القرى والسامرات  
إذا نشرن على ذراع الليل فاحما  
وذرفن  
غيمًا سابكا • ورؤاك • حين تنزل القمر الحصين •  
وألف حلم عائد من أمسه • وخمائل الروح الطريفة من  
ربيع العمر • ليس  
إلى دروبك من دليل •  
وإلى عروشك من سبيل • كم  
تمالكت القوافي سرها  
وتقنعت  
وسعت إليك بكل شاردة خجول •

يا  
صاحبي  
نام النشيد  
على ذراعي الغيب  
- لما نمت -  
وانسل الخياب  
إلى مدارات الدهول  
ورأى  
السحاب طريقه النبي  
حالا ممكنا  
ومضت  
أزاهير الربى  
متحجبات  
نحو أودية الذبول.



## 6. يا سيد المرجان

ياسيد المرجان موعدنا القصيدة كيف تنسى غاية الياقوت  
عاشقها  
وكيف تمهد الأشجار طفل الليلك المولود من تعب  
المسافات  
البعيدة كلما رحلت نوارسها وهاجرت القصائد في سلال  
الموت  
يخصف من خمائلها على عري البرية ساعة الميلاد •

ياسيد المرجان لا مأوى لنا في اللغو أو في ما تمزق من  
رداء  
الوقت لن تتآكل الأقلام والأوراق في مستنقع المعنى ولن  
تند الرؤى (ونساعد الزلزال) •

يا سيد المرجان هب أنا نراوغ هالة الجرح المقيمة في  
أقاصي العمر هب أنا سنقفز حاجز الموت الرهيب إلى  
الأبد فبأي ميناء سيحتفل الجسد وبأي قيثار نغني  
للشواطئ والزبد؟ •

ياسيد المرجان ما في الكأس غير صدى من شاعر في  
 بساتين  
 الرؤى ولدا للشمس يجدل أزهارا وأجنحة وينسج النور  
 حلما يستميل ندى ويستفيق نوار الصبح مختلجا على  
 يديه بما عانى وما جدا • يا سيد الكلمات اللؤلؤي ألم  
 تنشر  
 جناحيك للحزن الذي احتشد ولم تسائل هبوب الروح  
 مندهشا  
 عما سيولد في دنيا الخيال إذا • فهل تذكرت ما قلنا  
 على عجل لما اقتسمنا رغيفا حائرا أبدا • وكان صوتك  
 رقرقا يؤلفنا كأنما انساب في أوتاره بردى •

ياسيد المرجان بين النور والفانوس مرت فتنة الكلمات  
 فارتعشت يداي ولم أعد أقوى على هتك البياض فإن  
 تكن  
 صور الحدائق عطفه العشاق في سفري الطويل فلأن  
 حرفك  
 يا صديقي كان مطالعا الجميل •

مازلت أبحث في دروب الصمت عن جرس رقيق لأشق  
بحر  
الموت نحو فتى تربي بين أحضان الحريق • ما زلت أبحث  
عنك في صحراء هذا العمر يا أبهى صديق • ما زلت  
جوالا  
أقيم على سرير العمر مرثية العرائس وأدق بابا السماء  
مخضبا بدم الطرائد في لياليها الدوامس.

ياسيد المرجان  
ما اقرفت يداي  
من الذنوب  
ألق القصيدة  
وشهوة الصور اللعوب  
لكنني يا أحمد الذهبي  
عن سر الأحبة لن أتوب.

## 7. الرؤيا

غصت الرؤيا  
بأشواقى  
وتاهت عن عناقيدى المعانى  
وتراخت عن مواعيدى  
غوايات من تواشيح الأمانى  
فعصرت الندى  
حتى أيقظتنى  
أنجم سكرى  
ومرت من أمامى  
ثريات  
وأصداء  
جمعتها الريح  
من بوح المسافات  
ومن شرخ الأمانى

غصت الرؤيا  
وهذا من لهاث الدرب  
سطر من كتابي  
لم أعد فيه سدى  
رعشة حلم  
وسؤال عن متاهات غيابي  
أيها الجامح من رؤيا شبابي  
كيف أبني قبة الريح  
على رمل يباب؟

صيف 1995

## 8. محمد الأشعري (بعد قراءتي لرائعته "جنوب الروح")

ياداعي الحرف محمولا على وتر من الجمال ومن  
 نيل على ألق يكفيك أنك جواب الرؤى  
 نطقت على يديك شعاب الروح بالشفق ما زال  
 في الريف  
 بيت لا تسامره إلا كواكبك الخضراء في الأفق فهل  
 عثرت على رؤيا مجنحة بين البساتين أو نبع من العسل  
 الريفى مندلق  
 وهل لجأت إلى حلم بما حملت يداك من أنجم شتى،  
 ومن أرق؟ فطار حتى جنوب الروح وامثلت كل  
 الجهات بما كابدت من سكرات الشعر في محرابه العبق  
 ولم تجد حوريات الفن غير  
 هوى بين الأزاهير في أوج الربيع بقي فرحن  
 يخطفن من أزهار جنته أحلى القطوف بهاء غير مختلف  
 ورحن ينهلن من ينبوعه رشفها هو الحياة سليل الورد أنت  
 والغسق طافت

بمحرابك الريفى حاشية فداؤها نبضات الحرف والورق  
ثم التقت صور الأحلام موقعها بجانب الأطم الخضراء  
والحبق فكيف تحتزن الأيام سيرتها فلا تبوح بها إلا لمن أو  
غلوا في وحشة الطرق؟

وكيف تنبت

في الدرب العنيد رؤى

مباهج الشعر فيها

قمة الفرع المسكون بالحرق؟

خريف 1996

## 9. قرية أركمان

يخطف البرق مني جديدة ويرسلها عبر درب طويل  
إلى قرية  
ولد من ذهول البراري  
ومن زبد البحر  
بين حدود الفراسة والماء  
والأمسيات البوار  
إلى قرية  
خرجت من ثياب الأساطير  
من شفق الروح  
من غسق الكون  
من ذكريات الخزامى وصمت القوارب والانتظار  
كنت أدفع نفسي إلى صدرها  
فتفاجئني الريح



تبعدي عن عذاري النوار  
ويلوك براجمنا الليل  
إثر النهار  
لم يسد في مداها العصي  
سوى لولب الوقت  
والأعين الحلمات  
بأجنحة الترقب والانشطار  
كنت أسألها عن خيوط  
من الكبرياء  
وعمن رماها إلى عتبات الدجى  
وسرير الغواية والاجترار  
من يدل على قلبها في المرايا  
ويرسم بالموج أبناءها  
وينادي سرايا الغبار  
هلموا ففي الشاطئ القزحي  
تقيم النوارس أبراجها

وتمر الكواكب ظمأى  
على سفن من دخان  
هلموا إلى شاطئ  
تتعلم فيه النسور الجوارح  
كيف تطير  
لأقصى البحار  
وكيف تحول هذا الزمان  
إلى قطع من فخار  
كنت أسأل عن طقسها  
فيجيب الصدى والبخار  
كنت أسأل برا وبحرا  
بأي الخالين أغرس حر في  
فيقلت من خطواتي المسار  
كنت أسألها وأشد على كلماتي  
لثلا تطير بمن الأعاصير  
والموكب المستعار

كيف يا قرية الحلم  
تنفلت الحوريات  
وتخرج من ظلمات الحصار  
كيف تخترقين الطلاسم  
تبين أرجوحة للنسيم  
ومركبة للصغار؟

1998 - 5 - 12

## 10 . مليية 95

حلمت إليك المساء على راحتي وتركت الصباح  
يمزق أقمصة العنكبوت وراء الحدود  
تركت النجوم التي أنجبتك تصد الفناء  
وتبحث عن وجهها في المرايا وعن  
حقا في الوجود  
تركت العنادل تشكو ارتجاف الروابي وموت الندى  
والورود

حملت إليك الأصيل  
على طبق من ظنوني  
تزودت من عتبات السماء  
وأوراق نجم يتيم  
وجئتك منشغلا بالسقوط المدوي  
على هامش العمر المتوسط  
منشغلا بانقلاب النهار

فلم أنتبه للسكوت المرابط في شرفاتك  
 لم أنتبه لشموخ الغبار  
 وأذهلني منك عشق الليالي  
 اندماج المواعيد فيك يطعم البحار  
 وأذهلني منك نبش الأساطير  
 حين تمد الشواطي أحلامها للرياح  
 وتمنح أسرارها للمحار

أتيتك منتكس الحلم ألهث خلف عوالم لاهبة وسوالف  
 يجتبي الليل فيها وتولد منها الرؤى والضياء وكانت  
 مناراتك الناعسات تشير بألف لسان خلال الضباب  
 فيخذلني بصري وأوطن نفسي على لحظات العذاب  
 وحوالي النبوءات وحوالي جراحات أمسي وبعض  
 الصحاب وكانت لياليك وحشية والعناقيد حبلى تطل  
 علينا الفجاءات من ألف باب :

أتيتك والصمت يسخر منا  
يراقب أحوالنا من بعيد  
ويمنعنا من شميم الخزامى  
ويمنعنا من بلوغ القرار  
فلم تثمر الكأس فينا  
سوى تعب وانكسار

مليلية، أتيتك من زمني، خاليا من بريق الشموس، ومن  
سطوة العاشقين الكبار :

أقمنا معا حفلة للضياع الجميل  
وكانت طقوس الموانئ بين يدينا  
طرائد من هب في الليالي الملاح  
ولكن ظلك كان يفر  
وصوتك ينأى  
ويذبل فينا الكلام ا

ل

م

باح.

## 11. كيمياء الكتابة

إلى بشير القمري شقيقا وصديقا

إشراق وجهك شرفتي  
وخطاك هاديتي  
وصوتك ترجماني  
وحدائك الموالم  
أغنييتي  
وحالك منهلي  
وعلو شاني  
وصداك قافلتني/إلى فلك افتتاني  
فبأي مجذاف لحظة في الكون  
تحملني  
وتحمد عنفواني؟

مالي وللحبر المعتق  
يسجن الأشواق في قلبي  
ويقتل في بساتين الأحبة أقحواني؟  
ماضي إلى الملكوت  
أقتحم المدى  
وأراقص الأشباح  
أبحث عن مكاني  
في المباءة أو زماني،  
وأصالح الموت البطيء  
أحتمي بجناحك المغموس  
في بحر المعاني



## 12. قالت شهرزاد

الصبح لاح والديك مولاي صاح ومنارة للوهم ساهرة  
على نغم وراح تحكي وتغمز أختها وتمد للقصر المنيف  
ذراعها مصبوغة بدم العروبة في لياليها الملاح

مولاي يحكي أن زرقاء

اليمامة أصبحت أمة تُباع فيما وراء البحر والنحاس  
قائدك

الشجاع ووراءه وزراؤك الخبراء في نهب المتاع  
الصبح لاح والديك يامولاي صاح وعقاربُ الساعات  
جامئة بأقصى الريح تعلق أقصى قشرة للكذب المعاد  
ويقال بأن وصية الفاروق بيعت في المزاد.

ووزيرك

الحجاج يفتك بالعباد  
مولاي  
لم تظهر لنفطائيل  
معجزة  
سوى  
ما كان من قهر البلاد  
الصبح لاح  
والديك يا مولاي صاح  
والناس يختلطون كالأشباح  
في مدن الجماعة والنباح  
وأنا وأنت حكاية  
نبتت على مرمى الأسنة والرماح  
ومن المحيط إلى الخليج  
يلوذ شعب الله بالصمت المباح

## 13. القطمان

بعيدا عن سماء الروح  
مال بنا الشراع  
وفي أباريق المساء ظلال ساقية  
زرعنا في حدائقها الكلام  
فما وجدنا في قلاع الصمت غير ظلالنا  
والأمنيات  
صدي تحجر  
وأورقت كلماتنا  
ذهبا وقافلة

ترقص فوق أشلائنا  
صدى تحجر  
وأثمرت أشجارنا  
جيشا من الموتى  
وأقمارا سرايية  
تقيس بها أناشيد المغبة والسراب  
بعيدا عن سماء الروح  
بوجنا عرائسنا  
على جبل الرؤى المتحجبات  
فبادلتنا الشمس  
إغفاء بأجنحة وبادلنا صراخ الأرض  
إلهاما بالسنة خرافية  
صلبنا فوقها : مدنا، أحلاما، وتاريخنا

وغادرنا الخرائط والمقام  
بعيدا عن مواويل الجداول  
والضحى في القدس  
عن عرصاتها الخضراء  
هدبنا البروق إلى  
بنوك النفط  
حولنا ذخيرتنا من الإسراء والمعراج  
أمداحا على أبواب أمريكا  
فجاء القرد  
واللوطي  
والخوذي

يحملنا إلى سوق النخاسة والسلام  
بعيدا عن سماء الروح  
ظهرنا قصائدنا من المتفجرات  
ومن دماء الشوق والذكرى  
فكيف نفر من أعمارنا  
ونعيش تحت الشمس  
قطعانا على أبواب إسرائيل؟

1994

## 14. شهوة النار

لم أكن واثقا من شرود العبارة بين الصدى  
والغبار  
لم أكن شاهدا  
حينما لقتك الرياح مواعيدها  
وفتحت  
على شهوة النار  
عنق السؤال  
فبأي طريق حلمت غداة انكسار الجناح  
وبأي ضفاف  
غرست كمنجاتك الألف كيما  
تغني الجراح؟

لبس الماء أشواقه  
وانتقى من دليل النبوءات  
مجرى عميقا  
وقيثارة  
من حفيف الدوالي  
وألسنة من هزيح النهار  
فإذا لم أكن  
في طريقي إليك مع الشمس  
حين تسافر في الأمنيات  
وترحل  
بين النجوم



فإن السحاب مدادي وإن المدى قبراتي وإن حروفي مخيل  
وإنك

ياسيدي

عاشق

يستفرك صمت التداعي

وصحو اللغات

فترسم أيقونة للسراب

وأخرى

لعاشقة ولدت من شفاه السحاب

لم أكن واثقا

غير أنني سمعتك

تنشد للفجر أحلامه

وتغير من قدر الكلمات

لتبني للروح معنى

وللملكوت نظاما

يؤنس هذا المـدار

## 15. قوارب الموت

من صباحي ترف ومن غزل الريح يمر الزمان وتمرق بين  
يدي  
الحياة، ومن شاطئ البحر يعلو النداء تعال تعال فأعبر  
صحراء نفسي وأموي إلى فلوات المحال  
كم سلخت من السنوات البليدة  
في رصد أجنحة الشاطئ المتعال  
أراود ذاكرة الموج  
أرسم زرقة بحر الشمال  
على طبق من غبار السؤال  
وكم سمع الفجر خطوي  
وكم سمع المد والجزر  
حتى انتهكت المدى  
واخترقت المجال!

هل طرقت المجاعة صبرا وسيدة البر والبحر تجمع  
أرصدتي من ولائها وتفك سوائف أبقارها في الأسرة  
قبل الزوال • هؤلاء المقيمون في ذروة الأزمات بداية  
أسطورتني أم نهايتها • أم  
شياطين بابل تحمي كراسي الهزال أم  
تواطأت الكائنات لأصبح رقما حراما علي الولادة  
والموت  
مغتربا في أعالي البحار؟  
أين ياجبل الريف تنمو الكآبة أو تختفي حين يتلاشى  
الخيال؟  
أين تدفعني رحلتي؟ حينما يتمطى الهواء ويتلع الموج كل  
القوارب  
يصفعني اليمين وذات الشمال

## 16. فاس

أبحرت  
من أرق السواحل  
من براري السمو  
من أفق يسمى ملتقى البحرين :  
بحر للمدى الريفي  
للألوان تنسج دهشتي الأولى  
وبحر موجه قلقي  
وأشواقي  
وملاء حقائي  
شفق  
وموسيقى  
وتاريخ تقاسمه الغبار مع المهشيم  
سفني  
تميل بها الغواية  
نحو أدغال خرافية  
يجللها سحاب عائد  
من أنجم العشق القديم

وأنا  
أحول طينة الأحلام أغنية  
وأنحت من سهوم الناس  
جدول فتنة  
لبراءة الوطن العظيم  
وأمازح الألوان  
في العتبات  
أزجرها، وأطويها، وأنشرها  
على الأبواب  
رمسا طازجا  
لمرارة الزمن الكظيم

وأنا  
أطرح الأيام قافية من النعناع والنانج حتى  
لا يباغتها الفراغ وحارس القصر المدلل كلما  
انتبذت تخوم محبة عمياء  
من جبال الريف  
حاملة عناقيد الطفولة كي  
تبلى جبهة الجبل اليتيم  
أبحث من أحزان دالية تخوض حروبها السبعين ضد  
ترهل الأقطار والأسماء في هذا  
السديم

أبحرت من نار الفصول إليك يهديني ضلال الحروف  
في صحفي وأوراقى فأنت تراحم الأضداد أنت  
مساحة الأوجاع قبلة نشوتي وصلاة محوي ثم  
إحراقى وأنت نوارس الضوء التي انتشرت على  
حافلة آفاقي فأين  
أعلق الرايات يا  
حوضا تدفق من بساتين العصور، أو قيامه.  
لخطاي فيك حذاء قافلة من العشاق ليس ربيعهم بدنو من  
البطحاء حتى يومئ الأسفلت للشرفات بالسمر الحميم  
ويذوب طيف قمامة خلعت عليك نشيدها المنظم من خيط  
النسيم لخطاي فيك هيامها الآتي طراوتها وأقمار الطفولة  
تلهب الذكرى بباب أبي الفتوح وقد تجلى عن أساطير المدينة  
واختفى من ألف عام  
فبأي قيثارة  
أراود صمته المنفي  
في تحف الكلام  
وبأي ناقوس  
أزف عرائس الفوضى  
إلى هذا النظام؟

يافاس،

حياك انسياب غزالة ترعى انكسارات الظلال على أفاريز  
المساء ورفيف أجنحة على فوانيس البهاء،

يافاس،  
 ما رقة حروفي من سلالتها، وجاحدة خطاي  
 - جميع أرفصة اليقين -  
 فلأي فجر تمطرين حدائق المعنى  
 بماء المستحيل، وبأي  
 بستان يسامر كوكب أسحار عين سلسبيل؟  
 وبأي قداس أفك جدائل الردهات في عقب السكون  
 المخملي وأقتفي  
 أثر الحريق  
 على حدود الزنجبيل—ل؟  
 وبأي  
 فاسوخ  
 أحيل طلاسما الماضي  
 إلى زبد  
 وذاكرة الطيور  
 إلى  
 ذؤابات النخيل؟

**17. كلام بسيط**

إلى برنا لم نصل أبدا إلى بحرنا لم نصل أبدا إلى حلمنا لم  
نصل أبدا  
ووصلنا  
إلى مستنقعات حظائرهم  
لتزين أعراسهم  
ونقيم لهم حفلات الولا ثم  
نحتر أحزاننا في الخفاء  
لا جناح علينا إذا ما اقتسمنا  
رغيف الرجاء  
وسقنا الأحاديث خانعة  
قاب قوسين  
من أعين الرقباء  
لا جناح إذا ما ادخرنا الغبار  
وصار الخراب لنا سيذا



فنحن مغاربة بسطاء  
فغادر أوكارنا في الصباح  
ونعدو وراء السراب  
على ذبذبات الصدى  
نضيع وراء دخان المقاهي  
ونسجن فوق مقاعدها بلدا  
لنا أن نعبر عما نشاء  
لنا أن نموت  
وأن نتناسل  
من غير سوء  
وشكرا لمن علمونا مزايا الهدى.

## 18. أحلام

ربما كنت أحلم ذات مساء أني دوحة يتخبأ في ظلها  
الفقراء  
ربما كنت أحلم منخدعا بهدوء المساء أني طائر في الهواء  
وأن بلادي بساتين مفتوحة لدخول النوارس والشعراء.  
ربما كنت أحلم أني حر أغني لأهلي أعانق أحوالهم ثم  
أرسم روح الأناشيد حين أنشأ وكيف أشاء.  
ربما...  
كنت أحلم أن سماء بلادي  
وشمس بلادي  
عشق الأمان ودنيا الوفاء  
وأن الدوالي أجنحتي  
والخدائق مركبتي  
لأجوب البحار وأغزو الفضاء/ربما كنت أحلم أني سعيد  
بفجر بلادي  
وليل بلادي

ولا خول منه على أصدقائي  
إذا ما استباحوا عيون الكلام / ربما كنت أحلم أني طليق  
وأن حدودي  
على صدرها يستحم الغناء / ربما كنت أحلم أن رياح  
بلادي  
تنب على موعد العاشقين  
وأن الحمام على الأكمات  
يزف صباحاتها للقاء  
ربما كان وفق الحياة  
ينادي على ضفتيها  
وكنت أسامر فيها شوق النداء

صيف 96

## 19. قبر للحب

في الأفاصي  
رأيتك تقتنصين المحال وتبين من زبد البحر ناطحة  
السحاب  
وبارجة من خيال  
في الأفاصي  
رأيتك نائمة في سهوب مخادعة ولجين يلوح لي بالسراب  
لم أكن غارقا في الكلام المنمق حين اكتشفتك  
أو واقعا في خطايا السؤال  
عندما انحفر القبر في داخلي وانتبهت على عتمات  
الظلال  
ثقوب من الألم الوثني  
فلول من الأمنيات العذارى  
حريق وطين وأغنية ميتة وقبر  
لأنثى المسافات  
والحب  
والكائنات

لأنثى المسافات  
شعر المساء  
وللحب شكل لطبور  
فلا تسألني عن هبوبي  
ولا عن صدى الروح  
في أغنيات الجنوب  
وتكتبي إسمك بالشمع عندي  
ولا تسألني عن حروري  
لأنثى المسافات شكل السماء وللحب  
شكل اصطدامي  
بين السنابل والأقحوان فهلا انتظرت  
قليلا

ليستوي الفستق النبوي بأحلامنا  
تحت شمس المغيب وهلا  
اقتحمت زمان غروبي  
لنحلم بالماء والنفوان  
لم تسلمي من لعبة الدمار لما أتاك هاربا من فتني ليخلم  
عنه العذار فأنت  
مظلة  
في حديقة المغامرة  
وزورق ونار

## 20. رمل وزبد

لم أكثرث لنداء أشواقى ولا  
 لحدود أحلامى وآفاقى وما  
 فى القلب من رمل ومن  
 زبدو ما  
 فى خطوتى العَطَشَى من وهم يحاصر لذة الذكرى إلى  
 ناموسها الأبدى فتكل  
 مواكل العشاق موالى وذاك  
 البوح ترياقى وصدر الأفق مستندى إذا  
 أوغلت فى صحراء عمري أو  
 ضباب غدى لم  
 أكثرث للنمل حين يزف للشمس الموائد من  
 شذى النسيان فى  
 أنغامى الجذلى فإن  
 نشيدها مددى لم  
 أكثرث لمرارة الشيطان فى

شفتي ولا  
لجحافل الغربان في  
جسدي لم  
أكثرث لمجالس الموتى ولا الغيلان في قداسها المخمور  
فالأقمار  
والنسرين ملء خواطري ويدي لم  
أكثرث لمواكب الفرسان ورق فتلك أشرعتي الريح وهذا  
البحر محبرتي ومجدافي إلى أرجوحة الأبد

شتاء 97



## مقاومة الغياب

---

بشير القمري

يخلق "هديل الروح" كما خلق في السابق شعر حسين القمري في "ألف باء" (76، ديوانه الأول) ثم في "كتاب الليالي" (91، ديوانه الثاني)، في عدة أرباض وتجوم متراكبة، أبرزها ربضُ اللغة الجزلة المحنكة التي نذرت وتنذر نفسها وشحنتها ونبراتها لمقاومة الغياب، كل الغياب، ومن ثم تفك عقدة "لسانها" وتمدّد — وتمدّدُ أشعرعتها المثخنة والمحركة لتنشرها في وجه كل احتمالات التوتر والانصهار كي تتشكل، عن قصد ورغبة سنخيين. في أرخييلات التبدال النصي عبر أرحام منسية، مكبوتة، مدفونة، متروكة للهجير والصقيع معا وللظي أحبة من أهلها تركوها مسيبة، مطنين فيها تارة، وتارة أخرى متحذلقين في عشقها، على ناصية الغواية المؤودة في الذاكرة، على قارعة الحجر والنسيان :

أليس التناسي - وهو أقصى درجات النسيان - قريبا من "لموت الريجيم" L'euthanasie . إن بلاغة "هديل الروح" في هذا المسرى والمجرى، بلاغة اكتناه سحيق تمارس غوايتها هي ، كل غواياتها المؤجلة، وتقتنص - في سمو معجمها الباذخ وتشخيصها البلوري الشفاف، متعة انشائها واحتفائها باللحظة، -الكلمة- اللفظ- وبالتركيب في السبك الشعري، بنوع من الاتساق الذي يتضمن للإثيال رونقه، اتساق وانثيال يجتدمان ويذكران بانسياب مياه الشلالات ودفقها المتوثب حباباً، كأنه اللجين يندلق، ويأتي ذلك، كل ذلك، بنفس وجرس شعريين متعالين موعلين في الترصد، ترصد بلاغة رُحامية تنسكب ونبعث حرائق وموجات لاهبة حين يخضخضها حسين القمري لتزداد توقدا واشتغالا، كالجمر، في خرائط نسيناها لشدة السهو والإمعان في تفاصيل الغياب وفي مراسم فقدان.

ولأن حسين القمري شاعر بالفعل، بالسليقة والقدرة على التقاط كيمياء الحياة والعناصر والأشياء، وعلى اختراق هندسة المكان، من حوله، والاحتفاظ بذلك ليختمر أكثر، ولكونه تنقل، على امتداد قرابة أربعة عقود متواصلة عبر عدة قارات شعرية، حتى لا أقول "أشكالا" شعرية، منها

العمودي أساسا، و"الوطني" و"التحريضي" و"الواقعي"  
برنامجا ومسارا،

خاصة في السبعينيات، ويأتي كعادته، من عمق مشهدنا الشعري المفتوح، فإن أبرز مكون لديه يتمظهر في شعره -نصوصه- كتابته هو الصياغة الفيحاء الأنيقة، ونحس، ونحن نقرأ نصوص "هديل الروح" أننا نُبحرُ في واحة ظليلة نهددي إليها بعد ترحال طويل في يباس التجريب المطلق الذي دمر روح الشعر وأتلف شعرية متمزقة الإهاب بفعل هوس حدائي معطوب، يرتدي كل المعاطف والأردية ولا يحسن الإيقاع بنا.

عندما نقيم في هذا "الهديل" الواحة نحسُ رفرفة طير لا يرى وحمام يُقبل في تجاويف الغياب ليُحط بجانبنا، فنمنحُ أنفسنا التيه -للتيه وإيقاد الحنين نحو ذاتنا المهجرة في قعر تمر كُنزنا الفردي حول "أنا" لا يطاق: إنها متعة الانتشاء بالعالم كما هو، في فطريته المتوحشة وفي توحشه الفطري الذي نحياه مقنَّعين، ملفَّعين بحقيقتنا العُفل وقناعاتنا الراسخة: "أنا، أنا، وبعدي الطوفان" احتفاء حسين القمري بالعالم هو احتفاء بوحشته الآثمة، اللازمة أحياناً، قرب ذاتنا المترعة بالخرابات منذ ولجنا عالمنا الميت هذا، العالم اللايستجيب إلا قسراً وعنوة، ويفعل حسين القمري ذلك على حافة المتوسط، توأم بحر الظلمات، وهو يراود لغته التي تمنحه هوية مسافرة في المكان وفي

الزمان، ولا الزمن وحده، وشتان ما بين هذا وذاك، على حافة الذاكرة، ولا يعني هذا أنه شاعر ذاتي صرف بالمعنى المتهالك المستهلك، ذلك أنه بذاتيته، متى سلمنا بها، وليس عيباً، ينغل من فتيل تغريية اكتناه العالم أصلاً والفعل فيه، وهو في هذا يعانق تغرييات أخرى، منها تغريية طرفه والمتنبى والسياب والمخاطي وراجع إلى أن يستقر عند نفسه، وفي تغرييته هو .

يبرز هذا عندما يعلن شعر -شاعر "هديل الروح" اعتناقه لألم فقدان، فقدان شعراء هم من فصيلة هذه التغريية (راجع، المخاطي، بركات) فقدان أمكنة هي الإيثاكياب الرابضة مثل أبي هول يردد الأسئلة (مليبية، القدس، في لحظة مقاومة الغياب، بشير القمري) . وبين ألم فقدان والنشوة المستحيلية، يبرز مكون الاحتباس الذي يشق طريقه ويرد الشاعر فيه إلى عزلته الضافية في الصمت والإمساك عن الجهر بالجرح أو الفرحة : هامش تفرضه "الضرورة الشعرية" التي تقتضي أن يخلق الشاعر -دائماً- مسافته ليشهد ما يحدث وعلى زمنه، على الزمن الذي ينسل ويترك المكان دارساً إلى حين اشتعال الرعب واشتعال الورق والمداد.

هوية دفيئة تسطرها نصوص "هديل الروح" وتجعل شاعرها ينشد إلى رمزية ابن عربي، مثلاً، أو التوحيدي، درءاً للإنشطار والتوزع، وكأنني بأخي حسين القمري يبحث عن خريطة أخرى لا توازن فيها إلا بمقاومة الغياب، عن مجنّ لرفع الاحتباس ودفع التقلب الحاصل في روزنامة الوقت، لكن هيهات!

هيهات، هيهات، فللشعر سلطته، للشعر -دائماً- سلطة الشعر، خارج مدارات الذاكرة والرموز والأسماء والأماكن: الشاعر هنا يبحث فلا يجد غير "اشتباهه" (نص في حضرة محي الدين بن عربي)، اشتباه يبعد الشبهة وانفصام اللسان -اللغة، بين نص ونص، وبين فقدان وفقدان، ثم يشتد النسيان، لكن تقوى المقاومة، مقاومة الغياب. ووحدها اللغة تتحول إلى مجنّ، إلى ذراع لدرء الفجيعة، وما أشدها علي، يا حسين، ما أقساها حين أقرأها، حين أقرأك نصوصك وأحسن فيها، مرتحلاً معك، بين الأزمنة -في الأمكنة، ومعنا كل الذين تذكركم، واحداً واحداً، يقاومون غيابهم وغياب الأشياء -العناصر- الكلمات التي تشدهم - تشدك - تشدني - تشدنا إلى ما تبقى من خرابات وما تحمله طيات الكتاب والذاكرة، ثم يأتي شعرك، في "هديل الروح" بلسماً، يأتي مهلاً ورحيقاً، يأتي أكسيراً غير أنه، في امتداده واشتغاله طلسم المتاهات

التي أعشقتُها في انشدادي إليك وإلى شعرك، أولاً بأول،  
ولي الحق، كل الحق، في ذلك ، وإلا ما كنت مجبراً على  
الاعتراف بين يديك، وإلا ما كنتُ أتجرأ لأمنح نفسي  
العبور إلى هديل روحك المترعة بالعزلة الساحقة



التي تحياها في الناظور وأنا على حافة الأطلسي، منذ عقدين  
 ونيف، ألاحق متاهي وأدعوك إليها قدر الشعر والغواية،  
 هل "الحقيقة" هي "بنت اليقين"؟  
 وهل رأيت عبد الله "يهندس الدنيا" و "يصنع من خرائبها  
 جواباً"؟

وهل الزمن "طاحونة"؟  
 وهل أحمد بركات "سيد المرجان"؟  
 سأترك أسئلتي معلقة، وأجنح إلى الصمت قليلاً في "وحشة  
 الطرق" (ص 14) أو في "قرية الحلم" (ص 16) لكنني  
 معك في "بحر المعاني" (ص 19) ونعم: "أنا شرفتك"  
 (ص 19)

قمري البشير

الرباط، أواسط شتنبر 1998